مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الثامن / العـدد الأول
(ذو الحجة 1445هـ/ جوان 2024م)، ص 458– 474

الفرد مركز العملية التربوية في المجتمع العربي والإسلامي
(قراءة وتحليل لأفكار "أنتوني غيدنز" و"مالك بن نبي")

The individual is at the educational process centre in Arab-Muslim society.

(Reading and analysis Anthony Giddens and Malek Ben Nabi thoughts)

د/ مراد سلالي [1] Mourad sellai [1]
[1] جامعة البليدة 02 علي لونيسي
m.sellali@univ-blida2.dz
المؤلف المرسل: د/ مراد سلالي Mourad sellai الإيميل: m.sellali@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 25 /2024/04 تاريخ القبول: 02 /2024/06 تاريخ النشر: 15 /2024/06

الملخص: يعتبر المفكر «أنتوني غيدنز» والمفكر «مالك بن نبي» من علماء العصر الحديث الذين ساهموا بأفكارهم في دراسة مختلف المشاكل الاجتماعية في العالم العربي والإسلامي ومن خلال هذه المقالة أردت أن أعرض قراءة وتحليل أفكار المفكرين لأنهما لاحظا المشاكل التي عانى منها العالم العربي والإسلامي في ميدان التعليم والتنمية والتخلف والجمود والقهر والفساد، لذلك عرضت مجموعة من الحلول التي قدموها للنهوض بالمجتمع العربي الإسلامي في ميدان الاستثمار في الإنسان وذلك من خلال تفعيل مجال التعليم والابتكار والتجديد وذلك بخلق مختلف الدوافع المساهمة في ذلك، بداية من تجديد المناهج التربوية والتركيز على منح حق التعليم للجميع دون استثناء وكذلك التفكير في التعليم الدائم والخلاق للثروة وكانت قراءتهم بناءة.

الكلمات المفتاحية: أنتوني غيدنز، مالك بن نبي، التعليم، الفرد، التربية، الحضارة، التخلف، التنمية، الوطن العربي، العالم الإسلامي.

Abstract:

The thinkers: "Anthony Giddens" and "Malek ben Nabi" are among the scholars of the modern era who have studied the various social problems in the Arab-Muslim world. Through this article, we propose this analytical reading of the thinker's ideas because they were able to deal with the problems suffered by the Arab-Muslim world inhabitants, especially in education, development, backwardness, stagnation, oppression and corruption fields.

From there, it was possible to present some solutions provided by them to advance the Arab-Islamic society in the field of investment in human beings, highlighting the field of education, innovation and renewal, while creating various motivational motives. Starting with the renewal of educational programs, focusing on granting the right to education to everyone without exception, as well as thinking about the lifelong and creative education of wealth. That is why their study of society was constructive

Keywords: Anthony Giddens, Malek Ben Nabi, teaching, education, the individual, civilization, underdevelopment, development, the Arab world, the Islamic world.

1. مقدمة:

إن العالم العربي عانى منذ القديم من المشكلة التربوية لأنه بالطبع عانى من الاستعمار ومخلفاته، فحسب المؤرخين وعلماء التربية وعلماء النفس وعلماء الاجتماع، فإن الوطن العربي لم يعرف الاستقرار منذ بداية هجمات الاحتلال عليه وتوافد المعمرين على استغلال ثروات بلدانه، فكان الاستعمار ليس فقط ماديا أي الحصول على المال والثروات بل كان دينيا وروحيا، يتمثل في نشر المسيحية في أرجائه وغرس الفكر والثقافة النصرانية واتضح ذلك من خلال حملات التنصير والكنائس التي بنوها على أنقاض المساجد التي هدموها، وهذا ما رأيناه في الجزائر حيث عمدت القوات الفرنسية في العديد من مناطق الوطن إلى هدم المساجد والكتاتيب والزوايا وبنت مكانها كنائس وكذلك حولتها إلى مخازن للخمور وإسطبلات للأحصنة وغيرها من الحيوانات الأليفة، والغرض من ذلك ضرب وكسر الروح الدينية للمواطن الجزائري والشعب المسلم ، ومن خلال الصعوبات التي كان يتلقاها الشعب في تعليم أولاده لم يبق لهم

سوى التعليم المجاني المتمثل في التعليم القرآني ولم يكن مرخصا له وهذا ما لاحظناه في مسيرة الإمام ابن باديس الذي ناضل من أجل فتح المدارس والمساجد وناضل لتعليم الجزائريين، من خلال كتاباته و جرائده ومجلاته التي أسسها ومع الظروف الصعبة التي كان يعيش فيها الشعب الجزائري على غرار كل الشعوب العربية المضطهدة لم يكن لهم الحظ الأوفر للتعليم والتربية حسب ووفق مناهج معاصرة تتماشى مع المتطلبات والمناهج التي تغيرت وأصبحت تتسارع، خاصة مع التطور التكنولوجي و المعرفي الذي عرفه العالم، مع التغيير في نقل المعلومات والمعارف ومع بروز الأجهزة التقنية الإعلامية مثل التليفزيون والراديو (المذياع) وغيرها.

هنا نقول أن صعوبات التعلم ومشكلته في الوطن العربي تعود أسبابها بالدرجة الأولى للسنوات التي كان العالم العربي يعاني فيها من ويلات الاستعمار والقهر الاجتماعي والتخلف الاقتصادي والمعرفي والثقافي الذي ساد في كل الأقطار العربية.

2. التعريف بحياة "أنتوني غيدنز"

يعتبر «أنتوني غيدنز» "**Antoni guddenz**" من أبرز علماء الاجتماع في الغرب وأكثرهم ذيوعا وحداثة وتأثيرا في الدول المتحدثة باللغة الإنجليزية ، ولقد عمل أستاذا لعلم الاجتماع في جامعة كامبريدج وكان رئيسا أو عضو لمجالس الإدارة لعدة سنوات ، وكان عضوا في تسيير المؤسسات الخاصة بالبحوث الأكاديمية، ومراكز الدراسات في أوروبا وأميركا الشمالية، وآسيا، وكان رئيس مجلس الإدارة لدار النشر الأكاديمية "**polity press**" التي ساهم في تأسيسها، لقد أصدر خلال العقود والسنوات الأخيرة ما يفوق عن خمسة و ثلاثين مؤلفا في العلوم الاجتماعية.

وبين عامي 1997 و2000 إشتغل مديرا لجامعة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية"**LSE**" الشهيرة التي أسهم بالارتقاء بمناهجها التعليمية والتربوية وإثرائها ببرامج ومراكز بحث جديدة[1] متعددة العناصر، مثل حقوق الإنسان والدراسات الإعلامية والمواطنة ، وتحليل المخاطر، والتنظيم، حتى أصبحت الجامعة تحتل المرتبة الثانية بعد كامبريدج وتقدمت على جامعة أوكسفورد من ناحية الدراسات البحثية بين مائة و ستين جامعة في المملكة المتحدة البريطانية، ولقد عمل ««أنتوني غيدنز»» قبل ذلك مستشار رئيس

الحكومة الحالية "توني بلير" للتنمية الاجتماعية التربوية، غير أنه تنحى من المنصب ليتفرغ ويساهم في تأسيس وتوجيه جناح "الطريق الثالث" .وهو توجه سياسي مؤثر داخل حزب العمال البريطاني.

لقد ترجمت أعمال ومؤلفات ««أنتوني غيدنز»» إلى ما يزيد على ستة و ثلاثين لغة، ومنحت له شهادة الدكتوراه الفخرية من أربعة عشرة جامعة من مختلف أنحاء العالم وعولجت نظرياته في مختلف مؤلفات وبحوث علماء الاجتماع المعاصرين ، لقد أدرج مؤلفه "علم الاجتماع" من طرف الجمعية الدولية لعلم الاجتماع في عدد الكتب المائة الأولى في العلوم الاجتماعية في القرن العشرين وما زال يساهم في ترقية العلوم الاجتماعية والتربوية حتى الآن[2].

3. التعريف بحياة المفكر "«مالك بن نبي»"

ولد المفكر "«مالك بن نبي»" في 1-جانفي-1905 بمدينة تبسة التابعة آنذاك لولاية قسنطينة، لقد عانى من الحرمان والفقر وظروفه كانت مزرية بعد وفاة عمه الذي كان يكفله ماديا مع عائلته، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتتلمذ في المدينة الفرنسية ، لقد أتم تعليمه كله في المدارس الرسمية، كان متأثرا بالتيار الجديد الذي نهجه المفكر " الإمام ابن باديس" وكانت بدايته بالسفر نحو بلاد الغرب "فرنسا" للعمل وبعدها عاود السفر للدراسة بمعهد الدراسات الشرقية ولم يوفق لأنه كان مسلما وعربيا و جزائريا، مما جعله محل سلوكات عنصرية فرنسية، لقد لاحظ إبن نبي التطور الحاصل في باريس في مجال التكنولوجيا وخاصة مجال الإعلام والاتصالات، وهنا قرر الدخول إلى مدرسة اللاسلكي بباريس ، ولم يكمل دراسته لأنه وجه بعد ذلك لدراسة الميكانيك والكهرباء لتفوقه في هذا التخصص.

انتسب «مالك بن نبي» في فترة تواجده بباريس لجمعية الوحدة المسيحية للشباب الباريسي، مما زاده معرفة في نمط الحياة الخاصة بالأسر المتدينة المسيحية والحضارة الغربية.

لقد تزوج «مالك بن نبي» من فرنسية سنة 1993 وأسلمت، والتي كانت نعم الزوجة واستجابت لمختلف تطلعاته المستقبلية وكانت له الكثير من اللقاءات بالطلبة المغاربة الذين كانوا معجبين بأفكاره التجديدية والتنويرية والنهضوية، وألقى عليهم الكثير من المحاضرات والدروس حول الإصلاح والوحدة المغاربية العربية الإسلامية.

لقد ساهم كثيرا «مالك بن نبي» في تنمية المعرفة والفكر خاصة وأنه كان يعد من كبار المفكرين في عصره وذلك لاحتكاكه بباحثين ومفكرين ومستشرقين مثل المفكر ورجل الإصلاح" حمودة بن الساعي"

وغيرهم وشغل منصب صحفي بجريدة "لوموند " " **Le monde** " الفرنسية، وكتب حول مشاكل العالم الثالث والدول العربية والإسلامية [3] وذلك كان في عدد كبير من مقالاته وكان له الكثير من مؤلفات ونذكر منها: "الظاهرة القرآنية" سنة 1947 وكتاب "لبيك" سنة 1947 وكتاب "وجه العالم الإسلامي" سنة 1954 وكتاب" ميلاد المجتمع."

وسافر «مالك بن نبي» إلى مصر لمقابلة النخبة المثقفة هناك ومساندة الثورة الجزائرية، وكتب مقالا عنوانه "النجدة الشعب الجزائري يباد"، وقابل في مصر مفكري التجديد والإصلاح وعلى رأسهم "محمود شاكر" وعين مستشار المؤتمر الإسلامي بالقاهرة، وبعد عودته إلى الجزائر سنة 1963 واصل اجتهاده وتأليفه للكتب، ونذكر منها مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ومؤلف آفاق جزائرية.

اشتد عليه المرض أثناء سفره إلى مدينة الأغواط لإلقاء محاضرة ولم يتم مساره ،وتوفي في 31-أكتوبر-1973م.

4. نوعية النظام المدرسي في البلدان العربية:

إن الدول العربية كما أشرت سابقا لم تعرف منظومة تربوية وتعليمية ذات نوعية وجودة عالية منذ بداية انتداب الدول الغربية المستعمرة لأراضيها لذلك تأخرت كل الأقطار العربية عن ركب التطور والتنمية المعرفية، وحتى مجهودات المفكرين والباحثين العرب للوصول إلى مصاف الدول المتطورة لم تنجح وتثمر، لأنها كانت دائما تواجه عقبات العنصرية والمعيقات غير مبررة وبقيت دائما تابعة بفكرها وبمناهج تعليمها ومؤلفاتها[4]، للدول المستعمرة وحتى الآن ما زلنا نعاني من هذه المشكلات وظهر نوع آخر من الاستعمار والمتمثل في الاستعمار عن بعد أي بدون التواجد معك في أراضيك بل يصدّر لك الثقافة والسلعة والفكر والمعرفة عن طريق وسائل الإعلام وخاصة الإنترنت ويسيطر على شبابك وعلى سلوكاتهم، وبناء عالم أحلام جديد وحلم العيش في أوروبا، المجتمع المتطور والراقي، ولكن أصبحنا نعاني الآن من حملات الهجرة غير الشرعية والتي تودي بحياة عدد كبير من الشباب الجزائري في البحر أثناء التنقل في قوارب الموت وأصبحنا نفقد كل يوم مجموعة من الشباب الجزائري والعربي المسلم الذين يمثلون أمل الأمة ومستقبلها.

1.4 صعوبات التعلم في الوطن العربي:

لقد أشرت سابقا للظروف الصعبة التي عانت منها الدول العربية والإسلامية أثناء مرحلة الاستعمار والتي ما زالت تعاني منها حتى الآن، وهذه الفكرة واضحة من خلال الكثير من المؤلفات والكتب التي سجلت تاريخ المنطقة العربية، فالتعليم كان حكرا على الفرنسيين من أبناء المعمرين المتواجدين بالأراضي الجزائرية ، ولا يمكن للجزائريين دخول المدارس الرسمية التي أسستها الحكومة الفرنسية وكذلك عدم قدرة العائلات الجزائرية دفع تكاليف التمدرس وشراء الكتب أي عدم قدرتهم على تحقيق تكاليف التمدرس خاصة شراء الكتب والنسخ وغيرها من مستلزمات التعليم.

لكن من جهة أخرى لا بد من التذكير أن الشعوب العربية كانت دائما رافضة لفكرة التعليم الأجنبي المبنية على مناهج غربية ومخالفة لمبادئ المجتمعات العربية الإسلامية ومنافية لتقاليدها ودينها، فالدول الاستعمارية كانت تعمل دائما على غرس الفكر والثقافة الخاصة بها في مستعمراتها وأحسن مثال ما فعلته فرنسا في الجزائر وخاصة مباشرة بعد الاحتلال حيث جاء في مؤلف الدكتور "فريد حاضي" المعنون" بالسياسة الثقافية في الجزائر المنطلق والسيرورة والمآل بين (1837، 1937) " في مبحث عنوانه المدرسة والمجتمع المنشود(إدارة العقول): " إن المحتل الفرنسي قبل أن تطأ قدماه أرض الجزائر، كان يحمل مواقف عدائية للإسلام ومعتنقيه وهي وليدة تراكمات تاريخية، ولم يكن السطو على الجزائر إلا لتصفية حسابه مع هذه المرجعية معتمدا في ذلك على استراتيجية التدرج في مشروعه الثقافي ".....ومن هذا المنطلق كانت مسألة تعليم الأهالي في قلب اهتمامات مختلف الأنظمة السياسية المتعاقبة ففي الجزائر المستعمرة، اتسمت سياسة المحتل بالحذر وأخذ في الحسبان ظروفهم ومعطيات الواقع فكان لا يستفيد من التعليم إلا المتعاملين مع المصالح والإدارة الفرنسية، مثل أبناء القياد والحركي وغيرهم من العملاء ، والباقي من الشعب فهم غير معنيين بالتعليم الفرنسي ومن بين الخطوات التي قام بها العسكريون والساسة الفرنسيين في عهد الملكية مشروع التعليم باستقطاب الجالية الإسرائيلية و الموريسكية ، حيث تم فتح مدرستين إسرائيليتين و فرنسيتين للذكور في عام 1832 وأخرى للإناث في عام 1830، وهذا كله طبعا لوضع خارطة طريق خاصة بالتعليم الفرنسي وبعث جذور الفكر الغربي في الجزائر[5].

لكن إرادة سكان المستعمرة الفرنسية آنذاك "الجزائر" كانوا يقاومون هذه المحاولات من خلال بعث روح التعليم الديني واللغة العربية وإرساء مختلف العلوم وفي نفس الوقت المقاومة للاحتلال والدفاع عن

حق الاستقلال منذ الوهلة الأولى ، ففي ذكر المؤرخ الدكتور" يحي بوعزيز "في مؤلفه "موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر" "الجزائر والغرب" ، إن دور المقاومة وعلماء المنطقة الزواوية في نشر الثقافة العربية ومقاومة الغزو الثقافي الأجنبي كان عظيما جدا ورائدا بحق حيث استعملوا أساليب مختلفة من المقاومة ضد الاحتلال العسكري والديني والثقافي والاقتصادي..... ولكن الشعب الجزائري ومن ضمنه سكان هذه المنطقة وعلماؤها قاوموا هذه السياسة بشدة في سبيل التمسك بالدين الإسلامي.

إن علماء هذه المنطقة "الزواوية" ببجاية ومثقفيها ساهموا في حركة مقاومة وجهاد على مدى قرن وثلث القرن من حملة الاحتلال عام 1830 إلى معركة الاستقلال 1954، 1962. بأموالهم وطلابهم وأتباعهم ومؤسساتهم وثقافاتهم ونذكر منهم: الشيخ أحمد الطيب بن سالم والشيخ إبن أعراب والشيخ مُحَمَّد أمزيان بن علي عبد الرحمن ، والشيخ مُحَمَّد بن عبسي والشيخ عمر الرحماني والشيخ مُحَمَّد الحمدي الرحماني والشيخ عزيز الحدادي الرحماني والشيخ أمُحَمَّد الحداد الرحماني والقائمة طويلة في مختلف ربوع الوطن [6].

كل هذه الصعوبات التي مر بها المجتمع العربي الجزائري إبان الاستعمار كانت وما زالت تمثل مشكلة تربوية وتعليمية تواجه الدولة وكما يشير عالم الاجتماع ««أنتوني غيدنز»» أنه هناك قلة قليلة من سكان الدول العربية لا تستطيع توفير الدعم المالي للتعليم الرسمي، وهذا الذي طرح مشكلة معرفة القراءة والكتابة في الدول النامية ومنها الدول العربية، حيث يقول " يمثل الافتقار إلى معرفة أساسيات الكتابة مشكلة أكثر خطورة في البلدان النامية التي يعاني فيها من الأمية أكثر من 30% من السكان ، بل إن من يحسنون القراءة والكتابة لا يتجاوزون نسبة ضئيلة في بعض هذه البلدان(وهي إحصائيات المنظمة العالمية للتنمية سنة 1997) " [7]

2.4 مناهج وأساليب التعليم:

إ ن المناهج التعليمية تتلخص في الكتاب المدرسي الذي من المفروض أن يضم أفضل ما اقترحه المفكرون والعلماء المتخصصون وأصحاب القرار، والذي يرونه تجسيدا لتعليم وتثقيف الناس في المجتمع فالمنهاج التربوي في الدول العربية والإسلامية يبدو شكلا مطابقا لباقي مناهج التعليم في دول العالم، ولكن حسب مختلف الدراسات يرى بعض الباحثين أن المناهج التربوية والدراسية العربية تبدو وكأنها تكرس

الخضوع والطاعة والتبعية ولا تشجع التفكير النقدي الحر، فمحتوى المناهج يتجنب تحفيز التلاميذ على نقد المسلمات الاجتماعية أو السياسية ويقتل فيهم النزعة الاستقلالية والإبداع.

وبما أن المدرسة مؤسسة تربوية تكمل مهام الأسرة في تنشئة الأطفال وتعليمهم، فهي تقدم حاليا خدمة تربوية تتوافق مع متطلبات العصر، حيث يتم فيها تكوين النخبة من التلاميذ وخاصة أبناء الطبقة الغنية ذات الدخل المرتفع وهذا ما يعرف الآن بظاهرة المدارس النخبوية المختلفة تماما عن المدارس الرسمية(الحكومية) من حيث التعليم ومستوى المدرسين والتدريب، وتتميز المدرسة الحديثة بسمات خاصة بها نذكرها:

- تقاسم في العمل، أي أن الطلاب موزعون حسب المستويات المعرفية ولكل مستوى منهاجه العلمي المقرر ولكل منهاج أساتذة متخصصون بحسب ساعات العمل.

- هيكلة إدارية، حيث كل شخص في المدرسة منظو في ترتيبات إدارية قائمة على قاعدة هرمية، أي هناك عمل مسؤول من كل معلم أو موظف تجاه الأعلى منه رتبة.

- انحسار الشخصية، حيث لم تعد العلاقة بين المعلمين والتلميذ علاقة شخصية كما في المدرسة الأولى، لأنه مع تكاثر الطلاب وتوسع انتشارها خارج الحي أو القرية إلى مناطق أخرى حيث أصبح من الصعب على المعلم الاهتمام بتلاميذ محددين بل يتوجه إلى الجميع بأنهم سواء، وهذا من العدالة والمساواة الاجتماعية.

- المدرسة تضم إطارات وظيفية فبجانب المعلمين نجد الإطار الوظيفي المتخصص في مجال التربية والتعليم والإدارة والتأهيل وتعتبر المدرسة مؤسسة علمية رائدة للإعداد المعرفي والعقل المبدع واليد الماهرة وهي مؤسسة تنشئة ثانية مكملة للأسرة مكلفة بإعداد الأجيال وتحسين مستوى حياتهم.[8]

وبالرغم من ذلك فما زالت تواجه مشكلات التمدرس والتعليم مختلف أنواع الصراع المدرسي وخاصة ما يعرف بالصراع الخارجي وهو الذي يقوم بين الفرد وما يعترضه من عقبات خارجية مادية أو اجتماعية أو نفسية تعوق إرضاء حاجاته ورغباته وآماله والملاحظ أن المشاكل المادية ومستوى العيش للمواطن العربي

في الغالب يعوق مساره التعليمي الجيد ويكون بمثابة الجدار المانع لتحقيق أهدافه المعرفية وهذا ما لاحظناه في كثير من الحالات التي لم تكمل مسارها الدراسي.

3.4 العدالة والقدرة على تحمل تكاليف التعليم في الوطن العربي:

لقد لاحظ الباحثين والمختصين في مجال التربية والتعليم أن غياب العدالة والمساواة الاجتماعية سببا مباشرا في عدم قدرة العائلات العربية على تحمل تكاليف التعليم، وذلك ما أشار له المفكر ««أنتوني غيدنز»» سابقا حيث اعتبر ضعف دخل المواطن العربي وعدم استقراره الاجتماعي يمثلان عقبة تمنعه من الارتقاء في التعليم ومزاولة مختلف مراحله بصفة منتظمة وعادية[9]، ويعطي لنا غيدنز نسبة الأمية ما بين سنة 1980 و سنة 1995 وهي إحصائيات برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حيث بلغت نسبة الأمية سنة 1980 في الدول العربية 60% مقارنة بالدول النامية التي سجلت فيها الأمية نسبة 41% وكانت نسبة 3% نسبة الأمية بالدول المصنعة أي المتطورة وبالمقابل انخفضت نسبة الأمية سنة 1995 في البلدان العربية إلى نسبة 45% ولكن تبقى أعلى نسبة بالمقارنة مع الدول النامية التي بلغت 30% والدول المصنعة التي بلغت نسبة الأمية فيها 2%[10] والسبب يعود إلى عدم قدرة الفرد العربي والعائلة العربية على توفير مستلزمات التمدرس من كتب وكراريس وأقلام وغيرها، وحتى التفرغ للعملية المعرفية ، لأن العائلات الفقيرة والمعوزة تعلم أبناءها أبجديات كسب الرزق وقوت اليوم وفقط.

يركز علماء الاجتماع على ضرورة سيادة المساواة الاجتماعية في الدول العربية، حتى يتمكن الجميع من الاستفادة من حقوقهم في التربية والتعليم والصحة وغيرها من أسباب الحياة الاجتماعية المحققة للاستقرار، في المساواة الاجتماعية حسب ميشيل مان توجد ثلاثة أنماط رئيسية من المساواة:

- المساواة في الفرص وهي إتاحة المساواة في الالتحاق بالمؤسسات والمراكز الاجتماعية بين الجماعات الاجتماعية المعينة، وذلك مثل حق دخول الجامعات للطلاب من الجنسين ومن كل الأصول الطبقية.

- المساواة في الوضع الاجتماعي، وتعني المساواة في أحوال المعيشة لكل الجماعات الاجتماعية المعنية مثل المساواة في الدخل.

- المساواة في النتيجة أو الناتج وتعني تطبيق السياسات أو عمليات المساواة في البداية إلى مظاهر مساواة في النهاية. [11]

وكما جاء في هذا التعريف فانعدام المساواة في مختلف الأقطار العربية خاصة في المناطق الريفية، حيث تنعدم المدارس وإن وجدت تكون بعيدة كثيرا على سكنات الأهالي، مما يثبط ويفشل الإرادة في التعلم، خاصة المعاناة التي تكون أثناء فصل الشتاء وكل هذا النوع والقهر الاجتماعي يؤدي إلى الرسوب أو إلى هجرة المدارس وهناك أسباب أخرى تنتج هذه المشكلات الاجتماعية.

وعرف مُحَمَّد عاطف غيث المساواة بأنها تشابه المكانة الاجتماعية والحقوق والمسؤوليات والفرص، وهي مبدأ مثالي يتعارض مع نتائج مبدأي الحرية والمنافسة، والتي من أهمها الاختيار الاجتماعي والتدرج واللامساواة. [12]

إذًا ومن خلال ما سبق عرضه فإن المساواة تلعب دورا كبيرا في تحقيق قدرة الفرد على التعليم والتعلم واكتساب المهارات والمعرفة ومزاولة كل العمليات الاجتماعية الهادفة لاكتساب الوعي وتحقيق حياة الرفاهية والتنمية والتجديد وبداية الفكرة التطوري والابتكاري.

5. أسس وعناصر الفكر التربوي عند «مالك بن نبي»:

إن موضوع التربية والتعليم جد هام ويلقى اهتمام العلماء بمختلف تخصصاتهم، فبالرغم من أن الفكر التربوي الفلسفي يمثل التخصص الأقرب للتفكير المنهجي والبيداغوجي لعملية التربية والتعليم، إلا أنه هناك تخصصات تقدم الدعم للفكر التربوي والبيداغوجي كذلك، خاصة في العصر الحديث الذي تميز بانتشار التكنولوجيا و وسائل التواصل، وأصبح الكل يتمتع بسهولة وليونة في الحصول على المعلومات والتعليم والتربية وغيرها من الإيجابيات التي سمحت لإحداث التطور والتغير السريع، إذا كل هذا يتطلب كذلك التكوين المتواصل للإنسان (لفرد) لرفع مستويات تفكيره ووعيه.

1.5 صفات المعلم والمتعلم:

يرجع «مالك بن نبي» أسس التعليم وخاصة اكتساب المعرفة والعلم إلى ضرورة حتمية لا بد على الكل أن يبدأ بها وأن يندرج من خلالها، ولا بد على كل العائلات أن تقوم بهذه الخطوة لفتح مجال طلب العلم والتربية لأبنائها، حيث يذكر عالم الاجتماع العربي إبن خلدون بأن العلم ينقسم إلى علمين، علم نقلي وعلم عقلي، ولا بد من التدرج في التعليم ومن الضروري البدء بالمحسوسات والتدرج حتى الملموسات،

وأن يكون تعليم الصبي بداية ببعض سور القرآن الكريم وبعض الأشعار حتى تقوى ملكة الحفظ، ففي هذه الخطوات يبدأ الأطفال في رسم معالم الحفظ والتعليم والغوص في المعرفة، وبتعلم القرآن الكريم يتعلم الطفل مبادئ الأخلاق والسلوكات الحسنة وكل هذه هي صفات المتعلم، أي الالتزام والصدق وغيرها من القيم الحسنة التي سنها الله تعالى لتربية النشء.

وكما جاء في آداب المتعلم التي أوصى بها الإمام عبد الحميد بن باديس انه على المتعلم حسن التلقي وذلك بتأكيد الصمت بكف اللسان عند السماع حيث يقول: «إنه لا يتم تفرغ القلب إلا بسكون اللسان فلا يكفي في تفرغه ترك القراءة الجهرية عند السماع حتى يكف اللسان عن الحركة فلا تكون القراءة الجهرية عند السماع حتى يكف اللسان عن الحركة فلا تكون قراءة لا جهرا ولا سرا. " [13]

وإن صلاح التعليم أساس الإصلاح وحسب العلامة «ابن باديس» فإنه لن يصلح المسلمون حتى يصلح أول ما أهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب وإذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله[14]، وصلاح المسلم إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علمائهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته. [15]

2.5 مبادئ المعرفة العلمية:

يمثل الفرد محور المعرفة العلمية، إنه حسب علماء التربية والتعليم صاحب فن التلقين وصاحب المعرفة ، لذلك لا بد عليه أن يتسم ويتصف بمميزات المعلم المميز، ومن مبادئ المعرفة العلمية عند المفكرين أن يكون المعلم لهذه المعرفة العلمية ذو خصائص ومميزات خاصة بتعليم العلم، لذلك جاء في فكر ابن خلدون في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا. [16]

إن التحكم في مبادئ المعرفة العلمية وخاصة الازدياد في العلم من المعلم والحرص على تأدية مهامه التعليمية بكل صدق ووعي بالمهمة التي يؤديها، سوف حتما يعطي لنا نتيجة مستقبلية تساهم في الحفاظ على الحضارة والرقي والازدهار والتطور والرفاه.

ويرى المفكر المتخصص في التربية " غوستاف لوبون" « gustave le bon" أن المربي الماهر يستطيع أن يوحد الحركة اللاإرادية النافعة ويقضي على التي لا تنفع أو على التي تظر، فالتربية هي الفن الذي يمكن من تحويل الشعوري إلى اللاشعوري، وإنما سبيل ذلك إيجاد الحركة اللاإرادية التي ينشأ عنها التشابه الخواطر المتكررة الذي ليس للذاكرة فيه إلا أثر قليل. [17]

ويضيف عالم التربية المعاصر " غوستاف لوبون" " gustave le bon" أنه من الأفكار السائدة في هذا العصر أن في التعليم قدرة على تغيير الرجال تغييرا محسوسا ، وأن نتيجته التي لا يشكون فيها من إصلاحهم. [18]

ومن خلال هذه الفكرة نلاحظ أن التعليم قوة خفية لا يعلمها إلا الله تعالى وهو كل شيء يستطيع الفرد الحصول عليه لكن بإرادة وعمل واجتهاد وهذا ما يشير إليه المفكر «مالك بن نبي» في مختلف مؤلفاته.

3.5 الإنسان محور المعرفة والتعليم:

يمثل الإنسان محور ومركز المعرفة والعمليات التفاؤلية الاتصالية في التعليم، وحينما نقول الإنسان تبرز صورة العقل ، لأن العمليات التعليمية كلها تسير وتنفذ بأوامر من العقل، فالرأي رمز للذكاء والوعي للاجتهاد والفطنة والحذق، وكل هذه الصفات العقلية هي خاصة بالإنسان، وكما يشرح لنا الإمام مُحَمَّد عبده رائد النهضة في مصر ومؤسس المدرسة الفكرية المميزة في الفكر الإسلامي الحديث، في حديثه عن العقل إذ يعتبره وسيلة لتحصيل النظر والإيمان، وبلغ العقل عند المفكر مُحَمَّد عبده مرتبة عالية من التفكير والبحث، حيث اتضح المنهج العقلي الذي تبناه في نهضة العالم العربي والإسلامي، كما أشرت سابقا، ويظهر في كل كتب ومؤلفات الإمام مُحَمَّد عبده مكانة العقل حيث كان يؤمن إيمانا فائقا أن الإسلام دين العقل. [19]

العلم يعطي المعرفة والمهارة والذكاء وفق المستوى الاجتماعي الذي يتم فيه البحث العلمي والثقافة تعطي العلم وتعطي السلوك والغنى الذاتي الذي يتواجد على كل مستويات المجتمع والعلم يعطي القيم التقنية التي تولد الأشياء والثقافة.

وتعطي امتلاك القيم الإنسانية التي تختلف الحضارة والتقدم والتجديد والابتكار، فهذه القيم الإسلامية هي الكفيلة ببناء الحضارة، ويركز على ضرورة تصفية المنظومة المعرفية مما يشوبها من أفكار قاتلة ولا بد من تزويد الإنسان بمختلف القيم الصحيحة لبناء الهداية وتحسين الأداء الاجتماعي للفرد وللمؤسسة والمجتمع والأمة وذلك لبناء الحضارة [20]

إن الفرد هو محور العملية التربوية والتعليم والابتكار وحسب المفكر «مالك بن نبي» فإن الذي يلعب دورا هاما في العمليات التفاعلية والأدوار الاجتماعية، فهو الضابط للسلوك والمرشد للفكر والوعي، إن الإسلام كما يراه "مالك بن نبي» دين الاجتهاد والبناء الحضاري، وهذا ما لاحظناه من خلال مؤلفاته.

6. مبادئ التجديد التربوي في الوطن العربي من خلال فكر " ««أنتوني غيدنز»»":

يركز فكر المختص في علوم التربية والدراسات الاجتماعية المعرفية على العمليات التعليمية والتفاعلات التربوية في بناء مبادئ تربوية جديدة تتماشى مع متطلبات العصر الحديث وتساهم في تسهيل طرق التكوين، والعالم العربي عانى من مشكلات متعددة ومتكررة والتي كانت سببا في عرقلة الكثير من القطاعات في مجال التنمية والتغيير، وخاصة قطاعات التنمية البشرية وبناء الفرد والتكوين المعرفي الذي يعتمد كثيرا على الوسائل التكنولوجية ووسائل الإعلام والاتصال.

1.6 الفرد محور العملية التربوية:

تقوم البنيوية التربوية الجديدة في الوطن العربي حسب المفكر ««أنتوني غيدنز»» على تلاحم عشرة مقولات معيارية لتكون مجتمعية وتلحق الأمة العربية بالقرن الحادي والعشرين عبر التحول إلى نمط ثقافي يكون محوره الإنسان ومنه كقيمة عليا يشتق رؤاه وتطبيقاته الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية والأخلاقية.

إن الاهتمام بالفرد كونه محور العملية التربوية كونه رئيسي لأنه يخضع للفلسفة التربوية التي تقوم أساسا على احترام الكرامة الإنسانية للفرد وهذا دون أن ننسى الجماعة التي هي بيئة الفرد وتضم تفاعلاته وتدعمه. [21]

ومن خصائص المعرفة الحديثة القوة التي تستند على تربية الناشئة العربية على موقف عقلاني واضح من المشاكل الطبيعية والإنسانية، ويعني ذلك تربية القوة الناقدة عند الناس ليستطيعوا على أساسها التفكير في بنى اجتماعية أفضل.

والعلم يمثل مجموعة من الحقائق التي توصل إليها العقل الإنساني في مراحل تفكيره وتجاربه المتراكمة عبر الزمن والثقافة كلفظ مفرد يراد فيها الاستعمال لأخذ من كل علم بطرق ولا يراد بها التعمق في دراسة العلم من العلوم لذلك يقول أهل المعرفة "تعلم شيئا من كل شيء لتكون مثقفا وتعلم كل شيء عن شيء لتكون عالما". [22]

وهذا يكون دون المساس بالمبادئ والقيم العليا والتي من المفروض تمثل الأساس الأخلاقي المسير للفعل الإنساني، وليس هناك ثوابت في الواقع الاجتماعي للإنسان وهذا يوجب التقليل من الاعتقاد بالمواريث الفكرية والاجتماعية من الخطأ، ويجب تغليب فكرة الحوار الذي ممكن أن ينتهي بالاختلاف الخلاق.

وفي عصرنا الحالي المدرسة ليست فقط مكانا نتعلم فيه أشياء ومعارف وتقنيات وما إلى ذلك، إنها أيضا مؤسسة تمنح طموحات، لقد كان النظام المدرسي القديم أقل تشوش من الحالي بتخصصاته المعقدة التي تجعل الناس يملكون طموحات لا تتلاءم مع فرصهم الواقعية، ففي السابق كانت التخصصات واضحة نسبيا وتراتبيا ولم تكن مشوشة للفرد، واليوم في العصر الحالي ثمة العديد من التخصصات من الصعب التمييز بينها لذلك يجب أن يكون الفرد يقظا جدا لكي لا يقع في الفجوة الواقعة بين الطموحات والفرص الواقعية. [23]

إذا أصبح الفرد أكثر من وقت مضى مطالب بالمزيد من الإرادة للتعلم وذلك حسب متطلبات العصر خاصة من ناحية التكوينات التي تمثل مستقبل كل واحد منا في هذا الكون والاجتهاد ضروري لتحقيق التنمية والتجديد والتقدم وتنمية روح الابتكار.

2.6 العمل الإنساني مبدع:

يقول « بيير يورديو « " تكمن القيمة الحقيقية لأي شيء في العمل الإنساني المبدع، لذلك يتعين أن نعيد النظر في بناء التعليم في الوطن العربي بشكل يؤكد أسبقية الإبداع وكرامة العمل والإنتاج "وحسب فكر « بيتر يورديو « فإن الفرد يستطيع التفكير الصحيح والنقدي إذا استفاد من مختلف مزايا التعلم وخاصة إذا دفعناه إلى التحدي وقدمنا له التكوين الضروري الذي يمكنه من صنع مصيره من خلال

الاستجابة الخلاقة لمحيطه الطبيعي والبشري ، والمجتمع الفاضل يجب أن يوفر له ولأطفاله فرص تعليمية متكافئة وتستدعي النخبوية المتزايدة للتعليم ولاسيما في المراحل الأعلى، إيلاء عناية خاصة لتمكين أبناء الفئات الأضعف اجتماعيا، وخاصة فئة البنات من الالتحاق بمراحل التعليم المختلفة بما يتناسب مع قدراتهن.

والتربية يجب أن تساعد الأطفال والراشدين على تفهم أفضل لثقافاتهم الخاصة، الماضي منها والحاضر، ولكن في نطاق مجتمع عالمي يعتبر في انفتاح الثقافات الخاصة على بعضها وحوارها مع بعضها.

3.6 انشقاق علاقات التربية من زاوية مؤثرة وحديثة:

ونواصل من خلال المبادئ العشرة للمفكر أنتوني غيدنز حيث يوضح لنا فكرة أن التربية يجب أن تقود الناشئة للتطلع إلى مستقبل تكتنفه عدم التأكد، وتكون وظيفة التربية في عملية التطلع هذه مساعدة ناشئة على اكتساب المرونة لمواجهة هذا المستقبل، في الوقت ذاته المساعدة في عملية تشكيله.

ويقترح ثلاثة توجيهات استراتيجية لبناء رأس المال البشري راقي النوعية والتي هي كما يلي:

- استحداث نسق مؤسسي لتعليم الكبار مستمر مدى الحياة، فائق المرونة ودائم التطور من أجل مكافحة فعالة للأمية بأصنافها، من ناحية وعملا بمبدأ التعلم مدى الحياة لخريجي النظام التعليم من ناحية أخرى.

- البحث وإيجاد وسائل داخل مراحل التعليم تكفل ترقية نوعية التعليم، وما يبلور مسار للحداثة والتميز والإبداع. [24]

7. خاتمة:

يعتبر الفرد محور العمليات التفاعلية والاتصالية بين الناس في المجتمع و التركيز على التعليم في مختلف الفئات الهدف منه الوصول إلى تحقيق تميز وإبداع حضاري يليق بحياة الناس في مراحل الحياة المتغيرة ويليق بالعصر الحديث، إن عالم الاجتماع " أنتوني غيدنز " من خلال بحوثه المتخصصة والمعاصرة والمتنوعة لمختلف الظواهر الاجتماعية ، قدم لنا مجموعة من التوجيهات والأفكار من معطيات ميدانية لاحظها

ودرسها وحللها وتوصل إلى إعطاء حلول لمشكلة الأمية في العالم العربي وكذلك أعطى لنا مقترحات لبناء منظومة تربوية تعليمية متطورة تساعدنا على التطور والتنمية والرقي، وبالمقابل قدم لنا كذلك المفكر الجزائري " مالك بن نبي " أهم القواعد لبناء المنظومة التربوية التي ترتكز على بناء الإنسان وتربيته على أسس وتقاليد عربية واسلامية ومن خلال الاجتهاد يصل الفرد إلى بناء الفكر والتعليم والإبداع والتحضر .

8. الهوامش:

[1] أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة فايز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2005، ص31

[2] المرجع نفسه، ص32.

[3] بودقزدام عمران، **التجديد في المشروع الحضاري عند «مالك بن نبي»**، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص27.

[4] بودقزدام عمران، **التجديد في المشروع الحضاري عند «مالك بن نبي»**، مرجع سابق، ص33

[5] فريد حاجي، **السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر، المنطلق والسيرورة والمآل، 1837، 1937**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص234.

[6] يحي بو عزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص203.204.

[7] أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص 538.

[8] مأمون طربية، **علم الاجتماع في الحياة اليومية، قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معايشة**، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، لبنان، 2011، ص42

[9] سمير بن لكحل، **مستويات الصراع النفسي وأثرها على المراهق المتمدرس (مقاربة نظرية)** ، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية ، مخبر الطفولة والتربية ما قبل التمدرس ، دار التل للطباعة ، العدد03-جانفي، 2014، ص43-56.

[10] أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص546.

[11]ميشيل مان، **موسوعة العلوم الاجتماعية**، ترجمة عادل مختار الهواري، دار المعرفة الجامعية، قناة السويس، مصر، 1999، ص143.

[12]مُحَمَّد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، مصر، 2006، ص 168

[13]هدى موفق، **إبن خلدون**، دار المعرفة للنشر والطبع، الجزائر، 2013، ص49.

[14]علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصلابي ، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس**، دار العزة والكرامة للكتاب، ط 1 ،الجزائر، 2015، ص.467

[15]عمار الطالبي، **الإمام عبد الحميد بن باديس**، حياته وآثاره، الجزء 03 معاملات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2014 ص206

[16]عبد الرحمن ابن مُحَمَّد، **ابن خلدون**، اعتني به، هيثم جمعية هلال، مقدمة إبن خلدون، دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، 2019، ص466

[17]غوستاف لوبون، **روح التربية**، دار المجد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص 23

[18] نفسه.

[19]أحمد عرفات القاضي، **تجديد الخطاب الديني**، مكتبة مديولي، مصر،2008، ص 188

[20]هاجر طالب، **ابستيمولوجيا التجديد التربوي عند مالك بن نبي**، دار طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص69.

[21]أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص 550

[22]مأمون طربية، مرجع سابق، ص63

[23]بيير يورديو، **مسائل في علم الاجتماع**، ترجمة هناء صبحي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص237

[24]أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص551.552